بين خيط وإبرة والمحافظة على هوية الزي العماني الأصيل

أكثر من ٥٥ عاماً من العمل المتواصل في مهنة الخياطة بولاية إبراء

تُعد الدشداشة (ابو شق) من الأزياء الرجالية القديمة وظهر استخدامها بشكل واسع بعدد من الولايات منها: إبراء والمضيبي وولايات الداخلية وهي زاهية وجميلة أثناء لبس الخنجر العماني.

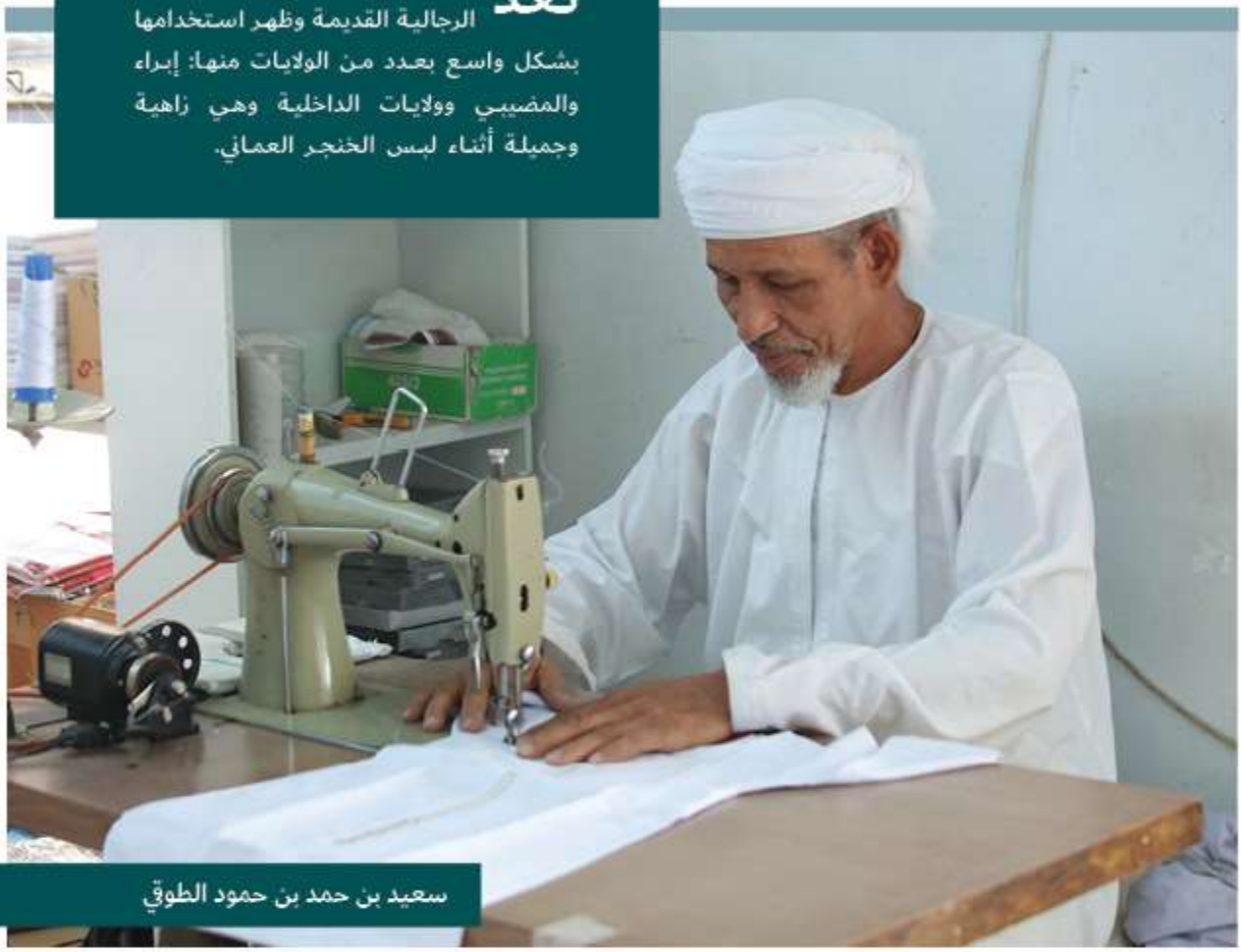

سعيد بن حمد بن حمود الطوقي

حوار وتصوير. حمود بن سالم الريامي

مازالت قصص الكفاح وحكاياتها تتواصل، فهي بدأت وستبقى ما بقي البشر على وجه هذه الأرض، قصتنا اليوم مع سعيد بن حمد بن حمود الطوقي من ولاية إبراء والذي تربى في قرية السباخ العريقة بتراثها الأصيل، يعرفُ سعيد الطوقي بأنه خياط الولاية منذ عدة عقود، وهو صاحب خط جميل جداً، كما أنه مثقف ويحفظ العديد من القصائد، ويحافظ على قراءة الصحف اليومية بصورة متواصلة، ويجيد سرد الوقائع والقصص بصورة شائقة، كما أنه يحمل الحب والنصح الرشيد لمن حوله، قلبه متسع للجميع قبل بيته ومحله والأجمل من هذا وذاك أن الخياط سعيد الطوقي ما يزال يمارس مهنته بكل مهارة واقتدار وما يميزه أن نظره ما زال محافظاً عليه ولله الحمد حيث يتمكن بكل سهولة من تمرير الخيط داخل الإبرة وبدون أن يستخدم نظارة أو عدسة على الرغم من بلوغه سن الـ 75 عاماً. فتبارك الرحمن. ، «التكوين» زارته من أجل الوقوف على مهنته وتطورها إلى أن وصلت لما هي عليه اليوم وخرجت بهذا الحوار الشائق.

تعلمه لمهنة الخياطة.

يقول الطوقي: عُدت من أفريقيا العام 1956م وكان عمري وقتها 11 سنة وكانت الأعمال صعبة جداً ، وبعد مدة من الزمن، فكرنا أنا ووالدي باحتراف الخياطة وكان عمري 20 سنة تقريباً سنة 1965م، وشراء آلة خياطة وذهب والدي إلى مسقط واشتراها وكان - رحمه الله - يقوم بتقطيع الأقمشة وأنا أساعده وبعدها تعلمت منه، ثم قررت السفر للخليج من أجل العمل وبعد مدة زمنية قصيرة رجعت إلى الوطن لأكمل ما بدأته من عمل مع والدي في خياطة الملابس وكان المحل في سوق سفالة إبراء القديم منذ العام 1966، وفي العام 1967م أشتريت آلة خياطة نوع بينكي يابانية الصنع من مطرح وقمت بالعمل عليها، وكانت الخيوط والأقمشة غير متوفرة وكنا نأتي بها من أفريقيا، وما زالت هذه الآلة موجودة معي إلى الآن وعمرها 54 سنة، وجميع ما فيه أنا من خير اليوم بعد فضل الله تعالى منها ومن العمل بها.

سر التجارة وبركة الأعمال الحرة

يستذكر الطوقي مسيرته قائلا: أتيحت لي الفرصة للعمل الحكومي في بداية النهضة المباركة إلا أني فضلت العمل الحر في مجال الخياطة وهذا نصيبي وأعتبره من حسن حظي، وأتذكر أنني ذهبت إلى نزوى للعمل كخياط في أحد المؤسسات وكان الشخص الذي أجرى لي المقابلة للالتحاق بالعمل من معارفنا، وسألني كم دخلك في اليوم؟ قلت له دخلي ريالين قال لي هنا الراتب الشهري 30 ريالا ويوجد عقد تلتزم به في العمل، وانصحك أن تواصل عملك في ولايتك وبين أهلك ودخلك أفضل، فاقتنعت بالرجوع إلى دكاني في سوق السفالة القديم خرجت من هناك وذهبت إلى سوق نزوى واشتريت طاقتين من قماش (تيترون) وهي نوعية معروفة في ذلك الوقت، ومن ثم تشجعت للعمل وبعد أسبوع ذهبت إلى مطرح واشتريت مولداً كهربائياً يعمل بالوقود وقمت أعمل حتى منتصف الليل وأرتفع دخلي ليصل الى 6 ريالات في اليوم وفي ذلك الوقت حوالي سنة 1972م كان يعتبر دخلا مرتفعا لا يحصل عليه أكبر موظف في الدولة آنذاك، وقد قمت ببناء بيت لأسرتي خلال سنة واحدة وأقراني الذين يعملون بالحكومة بدأوا في بناء بيوتهم قبلي ولم يكملوها بسبب قلة دخلهم، ولله الحمد أكملت بناء منزلي وهو سر التجارة والأعمال الحرة التي تحمل الخير والبركة.

الانتقال للسوق الحالي

ويشير الطوقي: بعد افتتاح سوق إبراء الحالي انتقلت إليه في شهر مايو عام 1985م، حيث اشتريت أول محل ثم أضفت أكثر من محل بهدف التوسع ولله الحمد أصبح مكاني معروفاً إلى اليوم، وربما هذا المكان هو الذي ساهم في اتساع زبائني وعرض منتجاتي بصورة أكبر.

أنواع الدشاديس

يوضح الخياط سعيد الطوقي الفرق بين

الدشداشة العمانية بين الأمس واليوم ويقول: كانت في السابق مختلفة عن اليوم وخصوصاً في الخياطة، كل ولاية بلبسها وعلى سبيل المثال نجد ولايات إبراء والمضيبي وولايات الداخلية كانوا يلبسون الدشداشة التي تسمى (أبو شق) ولها لون معين للشق وهو اللون العنابي على الذهبي إلى العام 1975م كانت تستخدم بشكل واسع وهي زاهية وجميلة في أثناء لبس الخنجر العماني عليها، وفي بعض الولايات مثل مطرح وغيرها كانوا يستخدمون الدشداشة الخليجية (الكويتية)، والتي فيها كسفة من الرقبة، والنوع الثالث دشداشة (خياطة بدية) وتستخدم في ولاية بدية وتكون خياطتها بخيوط الزري والبريسم، كما يستخدمها أهل البادية وتكون خياطتها باستخدام البريسم والخيوط العادية وتسمى الدشداشة (البدوية) وهي النوع الرابع، وهي تختلف عن الدشداشة (الصورية)، والنوع الخامس الدشداشة العمانية المعروفة حالياً وتسمى دشداشة (المنحر) نسبة الى اتساع فتحة الرقبة وتستخدم قديما من قبل كبار السن، وصلة التشابه بين أنواع الدشاديش الأربع بخلاف الدشداشة الكويتية هو صغر (الفراخة) .

إقبال متواصل على (أبو شق)

وعن اقتناء الدشداشة العمانية يقول سعيد: أكثر فئة تحب اقتناء دشداشة (أبو شق) الأطفال والشباب وأيضا كبار السن ويأتون من مختلف محافظات وولايات السلطنة لأجل اقتنائها لأنهم يعتبرونها نادرة والقليل ممن يتقن تفصيلها، وهي متميزة بألوانها الزاهية ولأنها تعتبر تقليدية حافظت على عراقتها وأصالتها، كما أننا قمنا بتنسيق ألوان الكمة والمصر مع لون الدشداشة وهذا أضفى طابعاً جمالياً نال استحسان الجميع.

سر لبس الخنجر في الدشداشة

ويبوح الخياط سعيد الطوقي بسر مهم قائلا: سأعطيك سراً مهماً جداً فيما يتعلق بلبس الخنجر على الدشداشة العمانية وعدم ضبطها في بعض الدشاديش، وهو أن (القَطعة أوالقَصّة) التي في أعلى الكتف تكون بشكل مستقيم وغير مهيأة، فدشداشة الخنجر لها خياطة خاصة لا يفهمها إلا الشخص المتمرس والعارف بهذه المهنة، وأنا ولله الحمد يمكنني من خلال تفصيلي للدشداشة العمانية أن أجعلها مهيأة لهذا الغرض وبمجرد إمساكها وكسفها من جانبي الشق تستقيم كسفتها حتى الأسفل ومن ثم لبس الخنجر عليها بكل سهولة ويسر وتكون بشكل جميل وأنيق.

الزي العماني .. خط أحمر

وعما يغضب سعيد الطوقي يقول: يأتي إلى محلي بعض الشباب يطلبون مني تفصيل الدشداشة العمانية بطريقة أخرى غير المعتادة وأقوم بسؤالهم هل أنت غير مقتنع أو غير معجب بهذه الدشداشة العمانية فيكون رده بالعكس مقتنع ومعجب بها وهذه قناعته أقيم عليها الحجة بما أنك معجب بها فلماذا تريد أن تشوهها فيقتنع البعض ولا يغيرها، والبعض الآخر يذهب عند الخياطين الأجانب الذين تدخلوا بشكل واضح في تفاصيل الدشداشة العمانية، إلا أن الجهات المعنية تكون لهم بالمرصاد في اتخاذ إجراءاتها بما يضمن المحافظة على اللباس العماني الرسمي وعدم المساس بهوية الدشداشة العمانية وكبح كل المحاولات التي من شأنها تشويهها أو تخريب شكلها المألوف أو إدخال ما يضر صورتها الجميلة فلهم كل الشكر والتقدير.

غرس المهنة في الأبناء

ويسعى سعيد الطوقي إلى غرس حب هذه المهنة في نفوس أولاده فيقول: أحاول أن أغرس في أبنائي حب العمل الحر والتجارة وأغلبهم يعملون في التجارة، وأبني سيف أكثر أبنائي يحب العمل في مجال الخياطة حيث دربته وعلمته على استخدام آلة الخياطة وتفصيل الدشداشة بمختلف أنواعها المعروفة، كما أنني أجتهد في تشجيعهم لمواصلة العمل الحر وكسب الرزق الحلال واستغلال وقت فراغهم في الأعمال المختلفة.

تميز ومزايا متفردة

ما يميز محل سعيد محافظته على خصائصه السابقة حيث لم يطور فيه بشكل كبير وآثر أن يكون محله كما اعتاد عليه سابقاً فهو يعلم جيداً أين يضع كل شيء من بضاعته ويسهل عليه الوصول إليها، ويبيع المصار والكميم وكذلك أوزرة الكبار والأطفال ويقوم بخياطتها بنفسه بطريقة جميلة وتقليدية، إضافة إلى توفيره للسباعيات المختلفة الأشكال والألوان والأردية والحظيّة، ويوفر كذلك الشندروات الخاصة بالنحالين التي يستخدمونها في أثناء فرز العسل، كما أن الهاتف الثابت لم يستغني عنه فبقي ملازماً له في محله إلى اليوم مع وجود الهاتف النقال وسيطرته على حياة الناس في الوقت الحالي، كذلك هو يدير محله بنفسه بدون وجود وافدين وهذا ما يضيف ميزة أخرى على جودة إنتاجه.